

Analysis of the pillars of Abd al-Qahir al-Jurjani's Order theory

Fatemeh kazemi¹

(Received:08.12.2021 , Accepted:17.02.2022)

Abstract

Abd al-Qahir al-Jurjani, in his book “Dalā'il al-I'jaz” (Intimations of Inimitability), formulated a scientific, linguistic and literary theory known as Order theory, which stands as a strong match for the theories of Western linguists in the modern era. □The theory of Order focuses on the rhetorical contexts of the Qur'an, and extracts from it principles and rules of rhetoric. Al-Jurjani presented other rhetorical issues in it, such as: introduction and delay, separation and connection, truth and metaphor, then the book was concluded with analytical models that highlight the importance of Order. This study is an attempt to study Abd al-Qahir al-Jurjani's Order theory and to Explain the pillars of Order theory. The research methodology is based on the analytical descriptive approach that traces the Order theory of Al-Jurjani and tries to explain the pillars of Order theory from Al-Jurjani's point of view. The results of the research indicate that Al-Jurjani's Order theory focuses on eloquence and rhetoric, pronunciation and meaning, Order, syntax, and syntax meanings. Al-Jurjani believes that the artistic value of the literary text lies in its formulation and organization. On the other hand, Al-Jurjani confirms that the miracle of the Qur'an is due to its good Order and formulation.

Keywords: Abdel-Qaaher Al-Jurjani, Order theory, pronunciation and meaning, and grammatical meanings.

¹ . PhD in Arabic Language and Literature, Allameh Tabatabai University, Tehran, Iran. Email : fatemehkazemi43@yahoo.com.



مقاله بحثيه

DOI: 10.22034/jral.2022.178904

دراسة أركان نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني

فاطمه كاظمي^٢

(تاريخ الوصول: ١٧/٠٩/١٤٠٠، تاريخ القبول: ٢٨/١١/١٤٠٠)

المخلص

صاغ عبدالقاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الاعجاز" نظرية علمية لغوية أدبية تُعرف بنظرية النظم التي تقف ندأً قوياً لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث. نظرية النظم تتركز على سياقات القرآن البلاغية، وتستخرج منها أصولاً وقواعد للبلاغة وعَرَضَ الجرجاني فيها مسائل بلاغيةً أخرى، مثل: التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحقيقة والمجاز، ثم ختم الكتاب بنماذج تحليلية تبرز أهمية النظم. هذه الدراسة في جزء يسير مما يمكن درسه في تراث البلاغة الزاخر محاولة لإلقاء الضوء على دراسة نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني وتبيين أركان النظم. يقوم منهج البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتتبع نظرية النظم عند الجرجاني ويحاول تبيين أركان النظم من وجهة نظر الجرجاني. تشير نتائج البحث إلى أن نظرية النظم عند الجرجاني تتركز على الفصاحة والبلاغة، واللفظ والمعنى، والنظم، والنحو، ومعاني النحو. يرى الجرجاني أن القيمة الفنية للنص الأدبي تكمن في صياغته ونظمه. من ناحية أخرى يؤكد الجرجاني أن إعجاز القرآن يرجع إلى حسن النظم.

الكلمات المفتاحية: عبدالقاهر الجرجاني، نظرية النظم، اللفظ والمعنى، ومعاني النحو.

^٢. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، إيران. بريد إلكتروني: fatemehkazemi43@yahoo.com.



١. مقدمة

نظرية النظم تعد أهم الإنجازات اللغوية والنقدية في العصر القديم والذين جاءوا بعد الجرجاني من أصحاب المعاني يشرحون كتابيه مرة ثم يعودون إلى شروحهم فيختصرونها مرة ويلخصونها مرة ثم يعودون إلى تلخيصاتهم ومختصراتهم فيشرحونها من جديد. يرى الجرجاني أن الألفاظ لا يمكن أن تتفاضل فيما بينها قبل أن توضع في تشكيل لغوي، كما يستحيل وجود تفاضل بين اللفظين في المعنى، قبل دخولهما في النظم والتأليف، إذن إن عبد القاهر ليس من أنصار الألفاظ من حيث هي كلم مفردة وليس من أنصار المعاني التي هي أساس كل شيء بغض النظر عن تجانس الألفاظ وتلاحمها وإنما هو من أنصار الصياغة من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الأدبية.

إنّ عبدالقاهر الجرجاني قد وضع أسس المنهج البنيوي منذ ما يزيد تسعة قرون، مضت، قبل أن يظهر البنيويون في أمريكا و أوروبا ليضعوا منهج دراسة اللغة و حقيقتها و الكلام و أصول أدائها و يفرقوا بين الدال و المدلول و المشار إليه و يكشفوا العلاقات القائمة بين مؤلفات التركيب و ينظروا إلى العلاقة بين الدال و المدلول على أنها إعتباطية إلى غير ذلك من المفاهيم التي لو تحريناها في ما وضع الجرجاني من دراسة في «دلائله» رأيناها جلية في «نظرية النظم» التي وضع مبادئها و بنى أسسها بشكل دقيق واضح و دافع عنها بصدق. عبدالقاهر يحقق في دراسته تشابها كبيرا في نقاط التلاقي بين عمله هذا و بين ما وصلت عليه الدراسات الحديثة و المعاصرة في المناهج الغربية بشهادة معظم الدارسين و الباحثين و دراسته للنظم و ما يتصل به تقف بكبرياء معادلا قويا لأحدث النظريات اللغوية في العالم الغربي و قد تفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي هذا مع الفارق الزمني الواسع الذي كان ينبغي أن يكون ميزة للجهود المحدثة على جهد عبدالقاهر. ولعل أحدث ما وصلت إليه الجهود العلمية في العصر الحديث في حقل الدراسات هو المنهج البنيوي مع ظهور العالم السويسري الذي يعد المكتشف الأول لأسس البنيوية في البحث اللغوي الذي خلص إلى إعتبار البنية أساسا قاعدا للمنهج و قد تواصل البحث بهذا المفهوم حتى وصل إلى العالم جاكسون و كاريسفسكي و ترتسبوكي إلى أن إنتهى إلى تشومسكي الذي اشتهر بالبنيوية (مرادي و كاظمي، ١٤٣٧: ٥٩-٦٠).

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول تبين نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني. تكمن أهمية هذا البحث في إبراز القيمة العلمية لنظرية النظم عند الجرجاني والتعرف على جهوده اللغوية. تصب هذه الدراسة في جزء يسير مما يمكن درسه في تراث البلاغة الزاخر محاولة لإلقاء الضوء على دراسة نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني وتبيين أركان النظم. يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة الهامة تتعلق بنظرية المعنى عند الجرجاني ومن ضمن هذه الاسئلة ما يلي:

١- ما هي نظرية النظم؟

٢- ما هي أركان نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني؟

قد أُلّف عن عبدالقاهر الجرجاني وآرائه كثير من الكتب والبحوث والدراسات بعضها أفرد له كتباً مستقلة وبعضها أفرد له فصولاً بذاتها. أما بالنسبة إلى بحثنا هذا فلم تكن دراستنا هذه أول دراسة تناولت آراء عبدالقاهر الجرجاني بل كانت هناك دراسات أخرى حول آراء عبدالقاهر الجرجاني لكن لم تختص هذه الدراسات بنظرية المعنى عند الجرجاني بهذا الشكل ومن أهم هذه الدراسات هي:

-الدكتور درويش الجندي أُلّف كتاباً عن نظرية النظم عند عبد القاهر تحت عنوان " نظرية عبد القاهر في النظم".

- سيد قطب في كتابه "النقد الأدبي أصوله ومناهجه" يتحدث عن نظرية النظم.
-ألّف الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي كتاباً في نظرية النظم الجرجانية تحت عنوان: "معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر".

- سيد عبدالفتاح حجاب في كتاب تحت عنوان «نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني وصلتها بقضية اللفظ والمعنى» يتناول نظرية النظم عند الجرجاني.

٢. نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني

إن مفهوم النظرية العلمية، مفهوم مركب من مفهومين هما: النظرية والعلم ما يستوجب تعريف كل منهما، ثم العودة لتكبيهما وتحديد معنى المفهوم المركب، كما تعرف النظرية في أبسط معانيها، بأنها مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها (حكيمه، ٢٠١٧: ٢٦٦).

عبدالقاهر الجرجاني صنف كتابين رائدين في البلاغة، أحدهما "دلائل الإعجاز" و الآخر "أسرار البلاغة"، وضع في الأول "علم المعاني" وأسس في الثاني "علم البيان" وصاغ في دلائل الإعجاز نظرية علمية لغوية أدبية تُعرف بنظرية النظم التي سبق بها عصره ومازالت تبهير الباحثين المعاصرين، وتقف نداءً قويًا لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث. الجرجاني استطاع بعلمه الواسع وبذوقه الرفيع أن يكتشف قيمة هذه النظرية ويفسرها شرحاً علمياً فنياً وحاول أن يدرس قضية الإعجاز اللغوي في القرآن. أراد عبد القاهر بكتابه دلائل الإعجاز أن يؤكد أن إعجاز القرآن يرجع إلى حسن النظم. ومجمل نظريته أن معاني الكلمات المفردة تعود إلى سياق تركيبها، فهو يرى أن الدلالة المعجمية معروفة لمعظم أهل اللغة ولكن الكلمة تكتسب دلالتها خلال نظمها في سياق تركيبها، ويختلف دلالة الكلمة تبعاً للتركيب النحوي الذي تقع فيه. في هذا الصدد يرى أحمد مطلوب أن المعاني الإضافية عند عبدالقاهر هي أساس جمال الكلام وإليها ترجع الفضيلة والمزية وهذه الفكرة لم يلتفت إليها أحد من نقاد العرب السابقين وقد تحدث عنها المعاصرون في الغرب وسموها "معنى المعنى" ايضاً (مطلوب، ١٣٩٣: ١٠٩).

٢-١. تعريف النظم

النظم في اللغة هو التأليف والتصنيف قال صاحب المقاييس: قوله "نظم" النون والطاء والميم أصل يدل على تأليف شيء وتكثيفه نظمت الخرز نظاما ونظمت الشعر وغيره (أحمد بن فارس، ١٩٧٩، ج ٥/ص ٤٤٣).

ورد في لسان العرب: «النظم: التأليف، نظمه ينظمه نظاما ونظاماً ونظّمه فانتظم وتنظّم، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظّمته ونظم الأمر على المثل وكلّ شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظّمته. والنظم: ما نظّمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما واحده نظمة» (ابن منظور، جمال الدين، ٢٠٠٤، ٥٧٨/١٢).

جاء في معجم العين: «نظم: النظم نظمك خرزاً بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته. والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام» (الفراهيدي، ١٦٥/٨).

وفي المصباح المنير: «نظمت الخرز نظاماً من باب ضرب. جعلته في سلك ونظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام وهو على نظام واحد؛ أي نهج غير مختلف ونظمت الشعر نظاماً» (المقري الفيومي، ١٤١٨، ٣١٥/١).

في هذا الصدد قال صاحب الجمهرة اللغة: «النظم: أصل يدل على تأليف الشيء ومنه نظم الخرز وغيره ونظم ينظم نظاماً ونظاماً ونظّم تنظيمًا والنظم كواكب في السماء تسمى النظم وهي من نجوم الجوزاء» (ابن دريد، ٩٣٥/٢).

بناءً على ذلك النظم هو ضم الشيء إلى شيء آخر، والنظام هو الخيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ. «النظم يختلف عن التأليف وعن التركيب، فالتركيب هو ضم الكلمات إلى بعضها حسب مقتضى الوضع، ويختلف التأليف عن التركيب، والتأليف هو زيادة على التركيب الوضعي ومراعاة مقتضى الحال. أما النظم فيراد به زيادة على ما سبق الإعتبارات الجمالية للكلام، فالنظم فوق التركيب والتأليف، وهو مطابقة الكلام لمقتضى الجمال أو الفن» (نفس المصدر: ١٥٤).

أما في تعريف النظم إصطلاحاً يرى الجاحظ أن «الإعجاز متصل بالنظم وحده بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعاني إذ طلب الله تعالى إليهم أن يأتوا بعشر سورة من مثله في النظم والروعة في التأليف حتى ولو حوى التأليف الواقع كل باطل و مفترى لا معنى له»^٣ والنظم عند عبد القاهر هو: «تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٥٥) ويقول عبدالقاهر: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها. وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها.» (لجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر: ٨١).

٢-٢. أهمية النظم

إن معرفة النظام والربط تعدل معرفة نصف القرآن فمن فاته النظام والربط فاته شيء كثير من فهم روح القرآن. فبالنظام يتبين سمت الكلام والانتفاع بالقرآن والاستفادة منه موقوفة

على فهمه والكلام لا يمكن فهمه إلا بالوقوف على تركيب أجزائه، و بيان تناسب بعضها ببعض: لأن الاطلاع على المراد من معاني الأجزاء لا يتأتى إلا بعد الوقوف على الناحية التأليفية، فلا يستطيع أحد أن يستفيد من كتاب وينتفع به دون أن يفهمه ولن يفهمه حتى يدرك الروابط بين أجزائه و مواقع كل منها (ابوالعلاء، ١٤٢٥: ٧٧).

إنّ نظرية النظم في تفسير إعجاز القرآن الكريم، تقتزن باسم عبد القاهر الجرجاني (١٠٧٨/٥٤٧١م)، لكنّ لها جذوراً تمتد إلى قرون خالية قبل عبد القاهر، فينبغي لنا استقراء هذه المراحل، ورصد جهود أسلافه في ذلك. فالنظم كان، قيل عبد القاهر، إشارات متعددة لا يخلو منها كلام معظم النقاد، غير أنها لم تبلور إلا على يده. وأنت ترى عبد القاهر لا يدعي الحديث في "النظم" من فراغ، أو اجتهاد مطلق. فهو يقول في "دلائل الإعجاز" :«وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتقخير قدره والتفويه بذكره...» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٨٠).

٢-٣. نظرية النظم عند الجرجاني

نظرية النظم هي اللغة طُرحت بشكل اساسي في سياق معالجة الشيخ عبد القاهر لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم والنظم، كمفهوم يعبر عن الجانب التعبيري في اللغة، كان موجودا في البلاغة العربية قبل أن يعالجه الشيخ عبد القاهر. ولكنه لم يكن مطروحا كنظرية لها قواعد يمكن تطبيقها للتوصل إلى التعبير الصحيح عن المعنى. وإنما كان مفهوما عاما غير متميز عن الجوانب الأخرى للغة والمتمثلة في "المجاز" أي الجانب الخيالي في اللغة، و"البديع" الذي يمثل الجانب الجمالي الشكلي في اللغة (أبو زيد، ٢٠٠٧: ٤). رفض عبد القاهر أن يرجع إعجاز القرآن إلى الألفاظ، أو يرجع إلى المفردات أو حتى معانيها؛ أو جريانها وسهولتها وعودتها وعدم ثقلها على الألسنة. كما رفض أن يكون الإعجاز راجعا إلى الاستعارات أو المجازات أو الفواصل أو الإيجاز، وإنما رد إعجاز القرآن إلى حسن النظم.

أما ما يميز به عبد القاهر عن سابقه من العلماء الذين تحدّثوا عن النظم هو «تحديد موضوعات علم النظم تحديدا كاملا والكشف عن حقيقة مصطلحاته وجعله قائما بذاته بعد أن كان فرقا وشذرات متناثرة في مصادر شتى في بيئات علمية مختلفة فاستحق بذلك أن يكون مبتكرا حقيقيا لنظرية النظم كأصل لعلم المعاني والابتكار هنا بمعنى أن السابقين وضعوا عناصر النظم في كتبهم فقام عبد القاهر فوضع القواعد العامة لهذا النظم» (طبانة، ١٩٨٨: ١٩٣) وقد قرر في مدخل دلائل الإعجاز ان النظم ليس سوى حكم من النحو نتوخاه، وجزم أن ليس غيره وإن أنكر المنكرون، قال:

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى
لو نَقَب الأرض باغٍ غير ذاك له
حكم من النحو نمضي في توخيه
معنى وصعد يعلو في

ترقيته

ما عاد إلا بخسر في تطلبه
ولا رأى غير غيٍّ في تبغيه

٢-٤. نظرية النظم و علم التراكييب

«فالنظم عند الجرجاني توخي معاني النحو بين الكلم ومعاني النحو هي معان إضافية تقوم على قوانين النحو وأصوله ولذلك نراه يكرر هذا المعنى. فالنظم بذلك هو معاني النحو التي

يدور عليها تعلق الكلام بعضه ببعض ويقول إن هذه المعاني يناقشها علم البيان ويشيد به وبما يفصح عنه من لطائف التعبير ودقائقه وخواصه» (ضيف: ١٦٨). يرى عبدالقاهر الجرجاني أن النظم هو: «تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض» (الجرجاني، ١٣٧٥: ١٥). وهو من أجل تبیین هذا التعريف قال إن الكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف وللتعلیق فيما بينهما طرق معلومة لا تخرج عن ثلاثة وهي: تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما (الجرجاني، ١٣٧٥: ١٠).

فهو يقصد بالنظم ما يطلق عليه الغربيون علم التراكيب وهو عندهم أهم أجزاء النحو (غنيمي هلال، ١٩٨٧: ٢٧٦) ويعرفه عبدالقاهر بأنه «ليس النظم إلا أن تضع كلامك على الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيب عنه، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٨١).

٢-٥. أركان نظرية النظم

الشيخ عبد القاهر في سياق معالجته لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن وضع نظرية النظم التي يمكن بواسطتها تمييز التعبير الصحيح عن المعنى من التعبير غير الصحيح، أو الركيك، عنه وللتوصل إلى قواعد للتعبير الصحيح اعتمد الشيخ على كلام العرب وأشعارهم، فمثل الشعر العربي الوقائع الإنسانية التي قام باستقرائها للتوصل إلى هذه القواعد. كما اعتمد الشيخ على مفاهيم إنسانية عامة عن طبيعة اللغة فأصبح مفهوم النظم مفهوما عاما غير مرتبط باللغة العربية ذاتها. فتحقق بذلك لنظرية النظم عند الشيخ عبد القاهر الشرطين الأساسيين اللازمين لظهور علم من العلوم الإنسانية. هو علم "النظم"، الذي هو جزء من علوم اللغة، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري، العاشر الميلادي (أبو زيد، ٢٠٠٧: ٤).

نظرية النظم عند الجرجاني تتركز على أركان وهي:

٢-٥-١. الفصاحة والبلاغة

إن الفصاحة، والبراعة، والبلاغة، والبيان ألفاظا مترادفة عند عبد القاهر لأنها يعبر بها عن فضل بعض القائلين على بعض. يقول الجرجاني في هذا الصدد: «في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يُعبّر به فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٤٣).

يقول فيمن ظنوا أن الفصاحة والبلاغة للألفاظ: "اعلم أنك كلما نظرت وجدت أن سبب الفساد واحد وهو ظنهم الذي ظنوه في اللفظ وجعلهم الأوصاف التي تجري عليه كلها أوصاف له في نفسه من حيث هو لفظ وتركهم أن يميزوا بين ما كان وصفا له في نفسه وبين ما كان قد أكسبه إياه عرض في معناه" (الجرجاني، ١٣٧٥: ٣٩٩).

يوكد الجرجاني: «أن الفصاحة والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها وعن زيادات تحدث في أصول المعاني كالذي أريتك فيما بين "زيد كالأسد" و"كان زيدا الأسد" وبأن لا نصيب للألفاظ من حيث هي ألفاظ فيها بوجه من الوجوه.» (م.ن: ٢٥٩) إذن الفصاحة عنده تكون في المعنى، وليس للكلمة المفردة أهمية،

و كثيرا ما تستعمل اللفظة في موضع فتكون حلوة الجرس عذبة و تستعمل في موضع آخر فتفقد تلك المزية (مطلوب: ٥٤٨/١)، في ذلك يقول: «إن غرضنا من قولنا: "إن الفصاحة تكون في المعنى" أن المزية التي من أجلها استحقَّ اللفظ الوصف بأنه "فصيح" عائدة في الحقيقة إلى معناه ولو قيل إنها تكون فيه دون معناه لكان ينبغي إذا قلنا في اللفظة "إنها فصيحة" أن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال ومعلوم أن الأمر بخلاف ذلك فإننا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يُحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليلٌ ولا كثير وإنما كان كذلك لأن المزية التي من أجلها نصفُ اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح مزية تحدث من بعد أن لا تكون وتظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم وهذا شيء إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفرادا لم ترمُ فيها نظما ولم تحدث لها تأليفا طلبتُ مُحالا وإذا كان كذلك وجب أن يُعلم قطعا وضرورة أن تلك المزية في المعنى دون اللفظ» (لجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الاعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر: ٤٠١).

إن الفصاحة، والبلاغة، وانتقاء الألفاظ، والتحامها بالمعنى كلها مزايا تعود إلى المعاني فليس انفصال بين اللفظ والمعنى ولا يمكن أن يهتم بالمعنى بغض النظر عن الصياغة. في النهاية يؤكد الجرجاني أن الفصاحة ليس في معاني الكلمة المفردة فحسب بل يجب أن نبحث عن الفصاحة في التأليف والتركيب والصياغة. حيث يقول: «هذا ما ينبغي للعاقل أن يجعله على ذكر منه أبدا وأن يعلم أن ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شُغلٌ ولا هي منا بسبيل وإنما نعد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب.» (م.ن: ٧٢).

يرى الجرجاني أن البلاغة هي وصف الكلام بما يلي: حسن الدلالة وتماها فيما كانت له ولا جهة لاستعمال هذه الوصف غير أن يوتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخصُّ به وأكشَف عنه وأتمُّ له. يقول في هذا الصدد: «ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يُفرد فيه اللفظ بالنعته والصفة ويُنسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى غيرُ وصف الكلام بحسن الدلالة وتماها فيما له كانت دلالة ثم تَبَرُّجها في صورة هي أبهى وأزِينُ وأنقُ وأعجب وأحقُّ بأن تستولي على هَوَى النفس وتنال الحظُّ الأوفر من ميل القلوب وأولى بأن تطلق لسان الحامد وتطيل رَغَم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غيرُ أن يوتى المعنى من الجهة التي هي أصحُّ لتأديته وتختار له اللفظ الذي هو أخصُّ به وأكشَف عنه وأتمُّ له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية» (م.ن: ٤٣). خلاصة الكلام أن البلاغة لا ترجع إلى فصاحة وبلاغة اللفظ وإنما إلى النظم ومنهج الصياغة.

٢-٥-٢. اللفظ والمعنى

يعتبر اللفظ والمعنى ركنين خطيرين من أركان نظرية النظم. نظرية النظم تقوم على حسن الصياغة وتوخي معاني النحو، والتي تنظر إلى العلاقة التي تنشأ بين اللفظ والمعنى من وجهة لغوية دقيقة نتيجة التماها وشدة ارتباطها. حيث نظر إليهما نظرة المتفحص العارف بمقادير الكلام، لذلك عرف قيمة اللفظ في النظم، وعرف طريقة تصوير المعاني على حقيقتها، ثم جمع بين اللفظ والمعنى، وسوى بين خصائصهما، ورأى اللفظ جسدا والمعنى روحا يعتمد على حسن الصياغة ودقة التصوير التي نضجت في بحوثه، وبهذه الطريقة

انتهى من فكرة الفصل بين اللفظ والمعنى (مقالة نظرية النظم و علاقتها باللفظ و المعنى عند الجرجاني، موقع مدونة بلال الغريب، ١٦/١١/١٣٩٤). أنهى عبدالقاهر مناقشته لمقولة اللفظ والمعنى برفضهما معاً، وخلص إلى أن القيمة الفنية للنص الأدبي إنما تكمن في صياغته ونظمه، وأن النظم هو مناط إبداع الأديب ومظهر عبقريته، فهو يرى أن الألفاظ لا يمكن أن تتفاضل فيما بينها قبل أن توضع في تشكيل لغوي، كما يستحيل وجود تفاضل بين اللفظين في الدلالة، قبل دخولهما في النظم والتأليف، والمثال الذي ساقه عبد القاهر في "دلائل الإعجاز" يكشف عن هذه النظرية الجديدة (حملي، ٢٠١٤: ٦٩). حيث عمد إلى تحليل آية كريمة تحليلاً فنياً بارعاً، يبين فيه مدى رهافة حاسته الأدبية ونفاذها من ناحية، وعن مدى سعة ثقافته اللغوية وعمقها من ناحية أخرى، والآية المختارة هي قوله تعالى: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) (هود: ٤٤)، يقول عبد القاهر معلقاً على الآية: «إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذتها من بين أخواتها وأفردتها لأدت من الفصاحة ما تؤديه، وهي في مكانها من الآية قل "البلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، فكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم في أن كان النداء بـ "يا" ودون "أي" نحو يا أيتها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال ابلعي الماء، ثم اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها نداء السماء، وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل "وغيض الماء" وجاء الفعل على صيغة "فعل" للدلالة على أنه لم يغيض بأمر أمر وقدرة قادر ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى قضي الأمر ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو استوت على الجودي ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم مقابلة قيل في الخاتمة بـ«قيل» في الفاتحة أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملوك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبية تحيط بالنفس من أقطارها، تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب» (جرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق ابوفهر محمود محمد شاكر: ٤٥-٤٦).

لقد كان عبدالقاهر في رفضه لموقف اللفظيين حريصاً على تأكيد أن المعاني لا توجد في الألفاظ مفردة بل إنه من البلاغيين الذين أثبتوا مبكراً اعتبارية العلامة فالحروف لا ترتب في اللفظة حسب معنى مسبق أي أننا لا نستطيع أن نتحدث عن نظم للحروف في الكلمات و من هنا كان الممكن أن يتعارف على أن التصوت "ر ب ض" يشير إلى فعل الضرب الذي بدلا من "ض ر ب" و انتهى في نهاية الأمر إلى أن الألفاظ تشير كعلامات إلى أشياء متفق مسبقاً على إشارتها إليها ولكنها مفردة لا تحدث معنى. من جهة ثانية فإن تطبيق أحكام النحو و قوانينه ليس كافياً لتحقيق المعنى. فالنحو ليس قوالب مفرغة أو جامدة، لكنه أداة أساسية لتمكين النظم أو البنية اللغوية من تحقيق دلالة ومعنى ويفرق الجرجاني ويلح في ذلك في أكثر من موضع في دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة بين نظم اللفظة مفردة و علاقتها بالمعنى ونظم الألفاظ داخل بنية لغوية وعلاقة ذلك النظم بالمعنى (حموده، ٢٠٠١: ٤٧٦-٤٧٨) إذن يؤكد الجرجاني «فقد اتضح إذن إتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة وأن الألفاظ تثبت لها

الفضيلة، وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التي تليها... ومما يشهد على ذلك أنك ترى الكلمة تروك وتونسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر... ومن أعجب ذلك لفظ "الشيء" فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع وضع ضعيفة مستكرهه في موضع. إنتهى عبد القاهر من مناقشة مقولتي " اللفظ والمعنى" إلى وضع نظريته في النظم، التي تعني ببساطة أن ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة، وأن الجمال الفني رهين حسن النسق أو حسن النظم، فلا اللفظ موضع حكم أدبي ولا المعنى قبل أن يعبر في لفظ، وإنما باجتماعهما في نظم يكونان موضع استحسان أو استهجان، ويؤكد عبد القاهر على ضرورة مراعاة قواعد النحو وأصوله في تأليف العبارة والعمل على تعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها» (م.ن: ٤٧ - ٤٦).

إنّ النقاد الذين سبقوا الجرجاني كانوا يسرفون في الاهتمام باللفظ (الشكل) ويعطون له شرف إصابة الغرض وبلوغ البيان دون أن يكون للمعنى أثر في ذلك، ولذلك نرى ردّ فعل الجرجاني معاكساً لهذا الاتجاه فهو يقيم نظريته في النظم على المعاني (العشماوي، محمد زكى، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: ٢٩١) والألفاظ يقول معبراً عن هذا الاتجاه: «أنتصّر أن تكون معتبراً مفكراً في حال اللفظ مع اللفظ حتى تضعه بجنبه أو قبله، وأن تقول هذه اللفظة إنما صلحت ها هنا لكونها على صفة كذا؟ أم لا يعقل إلا أن تقول: صلحت ها هنا لأن معناها كذا، ولدالاتها على كذا، ولأن معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا، ولأن معنى ما قبلها يقتضي معناها؟ فإن تصوّرت الأول فقل ما شئت، واعلم أن ما ذكرناه باطل. وإن لم تتصوّر إلا الثاني فلا تخدعن نفسك بالأضاليل ودع النظر إلى ظواهر الأمور، واعلم أن ما ترى أنه لا بدّ منه من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظام الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواضعها» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٥١).

وفي هذا الصدد يقول عبد القاهر في دلائل الإعجاز:

«وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس فهو إذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصح والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وأنه نظير الصياغة والتحبير والتفويف والنقش وكل ما يقصد به التصوير وبعد أن كنا لا نشك في أن لا حال للفظه مع صاحبته تعتبر إذا

أنت عزلت دلالتها جانبا وأي مساع للثك في أن الألفاظ لا تستحق من حيث هي ألفاظ أنت تنظم على وجه دون وجه ولو فرضنا أن تتخلع من هذه الألفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء ولا يتصور أن يجب فيها ترتيب ونظم ولو حفظت صبيا شطر كتاب العين أو الجمهرة من غير أن تفسر له شيئا منه وأخذته بأن يضبط صور الألفاظ وهيئتها ويؤديها كما يؤدي أصناف أصوات الطيور لرأيته ولا يخطر ببال أن من شأنه أن يؤخر لفظا ويقدم آخر بل كان حاله حال من يرمي الحصى ويعد الجوز اللهم إلا أن تسومه أنت أن يأتي بها على حروف المعجم ليحفظ نسق الكتاب ودليل آخر وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حدوها لكان ينبغي ألا يختلف حال إثنيين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر وأوضح من هذا كله وهو أن النظم الذي يتوآصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة وإذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج بالروية فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس أبا المعاني أم بالألفاظ فأى شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمتك وتصويرك فمحال أن تتفكر في شيء وأنت لا تصنع فيه شيئا وإنما تصنع في غيره لو جاز ذلك لجاز أن يفكر البناء في الغزل ليجعل فكره فيه وصلة إلى أن يصنع من الأجر وهو من الإحالة المفرطة» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٥٠-٥١).

من الواضح أن السطور الأخيرة حيث يتحدث عبدالقاهر عن النظم ويقارنه بالنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشى والتعبير وما أشبه ذلك تؤكد بالوضوح على أهمية الشكل. أما أن الشكل مهم بالنسبة لعبدالقاهر فهذا أمر مفروغ منه ولكن أهمية النظم لا تتسوخ أو تلغى أهمية المعنى عند عبدالقاهر ونستطيع أن نقول أيضا إنه لم يكتب بلاغي عربي عن المعنى بالقدر نفسه الذي كتبه عبدالقاهر و الأهم من هذا وذاك أن حديثه عن النظم جاء مقرونا طوال الوقت بالمعنى أي تحقق المعنى والزيادة فيه شرط تحقق النظم الجيد وتحقق النظم الجيد طريق تحقق المعنى ولا فصل بين الاثنين (حموده، ٢٠٠١: ٤٧٨-٤٧٩ و أنظر: الجرجاني، ١٣٧٥: ٤٩).

فعبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" يهتم بالألفاظ المفردة من ناحية، ثم الألفاظ بعد اندماجها في التركيب والتأليف من ناحية أخرى، ولعل هذه الدراسة هي صلب الموضوع في الدراسات البنيوية الحديثة.

وبهذا فالنظم في نظر الجرجاني تعليق الكلم بعضها ببعض والبلاغة لا ترجع إلى فصاحة وبلاغة اللفظ وإنما إلى النظم ومنهج الصياغة ومعنى ذلك هو أن الكلمة لا قيمة لها في ذاتها بل في علاقتها في تركيب لغوى ما، وهوبذلك لا يحكم على اللفظة مستقلة بل ينتظرها لحين الدخول في سياق لغوى ما، وهذا السياق هو الذى يحدث تناسق الدلالة ويبرز فيه المعنى على وجه يتقبله العقل ويرتضيه. إن الألفاظ عند الجرجاني لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمات مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة للمعنى الذى يليها، وأما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يؤكد ذلك أنك تعجب بكلمة في سياق معين وقد لا تعجبك هذه الكلمة نفسها في سياق

آخر (يوب، محمد، البنيوية من منظور الجرجاني: موقع مركز النور). ومن أجل إثبات هذه النظرية يقول عبدالقاهر أن "الألفاظ لا تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ثم نراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفض "الأخدع" في بيت الحماسة:

تلقت نحو الحي حتى وجدنتي
وبيت البحري

وإني وإن بلغتني شرف الغنى
واعتقت من رق المطامع أخدعي
فإن لها في هذين الموضعين ما لا يخفى من الحسن ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:
يا دهر قوم من أخدعك فقد
أضجبت هذا الأنام من خرقك

فتجد لها من الثقل على النفس التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة والإيناس والبهجة» (م.ن: ٤٧).

وفي هذا الاستشهاد يؤكد عبد القاهر أن تلاؤم المعنى هو سبب الحسن دون أي اعتبار للفظ. من ناحية أخرى كان لعبد القاهر الجرجاني فضل في توثيق الصلة بين الصياغة والمعنى، وفي الاعتداد في ذلك بالألفاظ من حيث دلالتها وموقعها، مجازية كانت أم حقيقية وبيان تأثيرها في تأليف الصورة الأدبية. وهذا ما نراه عند البنيوية عندما تربط بين المعطى الداخلى للألفاظ والحمولة الخارجية التي تحملها لكل دال مدلول، إن الكلمة لا تفهم في معزل عن السياق الذى سيقف فيه، فأى كلمة تفهم حسب السياق الدلالى وليس حسب السياق المعجمي. إن الكلمة عند الجرجاني لا يمكن الحكم عليها بالجودة أو الرداءة وهى معزولة أو منفردة، وأن لكل كلمة إستخداما حسنا وآخر سيئا.

والحقيقة أن عبد القاهر الجرجاني إهتدى إلى البنيوية بمفهومها المعاصر قبل أن يهتدى إليها أى عالم ونظرية النظم عنده تشهد له بعبقرية لغوية منقطعة النظير.

٢-٥-٣. النظم

يرى عبدالقاهر أن المقصود بالنظم إنما هو نظم المعاني النحوية في النفس، والمعاني النحوية تقع في طوائف منها ما يلي:

١-معاني أقسام الكلم كالحدث و الزمن و الاسمية و الكنية و الاستعلاء و ابتداء الغاية و العطف و الاستدراك إلخ.

٢-معاني الصيغ كالطلب و الصيرورة و الاتخاذ و المطاوعة إلخ.

٣-معاني أبواب النحو كالإسناد و التعدية و الظرفية و الغائية و الملابس و النسبة إلخ.

٤-معاني أساليب الجمل كالخبر و التأكيد و الشرط و الإنشاء و الطلب و التعجب إلخ.

و المعنى الثاني للنظم أن يعمد المتكلم إلى اختيار ما يناسب غرضه من هذه المعاني إذ يوردها على خاطره قبل أن يبني لها الكلمات (فكرة البناء) أو يرتب هذه الكلمات (فكرة الترتيب) أو ينشئ بينها العلاقات بواسطة الربط و المطابقة إلخ (فكرة التعليق)(حسان، ، ٢٠٠٦: ٣٣٥-٣٣٤). ومما لا شك فيه أن الإمام الجرجاني لم يسبق إلى مصطلح التعليق في مجال النظم فهو من إنتاجه، ويقصد به ارتباط الكلام وتألفه ونظمه في العبارة من الوجعة الدقيقة التي تنطوي عليها النفس. فالكلام لايتأتى فيه الإفادة والتعبير إلا إذا علق بعضه

ببعض، وجعل بعضه مرتبطاً ببعض، وهذا هو مفهوم التعليق، لذلك فهو توحي معاني النحوية وإعمالها في أجزاء العبارة. (عاطف محمد كلاب، أحمد، منهج الإمام عبدالقاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية، دراسة تحليلية، ٢٦) فالنظم هو إيراد المعاني المتعلقة بغرض المتكلم على خاطره استعداداً للدخول فيما يتلو ذلك من المراحل. من الواضح أن هذه المرحلة نفسية خالصة لا توصف بالمفردات الكلمات ولا برصفها في سياق مستمر، ولا تقبل الدخول في أداء نطقي. إذ لا يمكن أن يتم الكلام بقولنا: (حدث+ زمن+ ك ت ب) بدل أن نقول: " كُتِبَ" لأن سرد المعاني النحوية السابقة من قبيل النظم و " كتب" من قبيل البناء. عندما يحدد المتكلم المعاني النحوية التي يريد التعبير عنها ويتم نظمها في نفسه يبدأ في تأليف طوائف المعاني في صورة مجموعات تنتمي كل مجموعة منها إلى كلمة واحدة و ذلك كالجمع بين المعنيين (حدث+ زمن) الدالين على الفعل فيضم إليهما ما يصحبهما في نطاق النظم من أصل إشتقاق ليصوغ من الجميع فعلاً مشتقاً من الأصل الإشتقائي المذكور ويفعل ذلك ببقية كلمات الجملة على غير ترتيب ثم يبدأ هذه الكلمات (حسان، ٢٠٠٦: ٣٣٥-٣٣٤). من المعروف أن الكلام لا يتوالي بصورة جزافية فلا يقال مثلاً: على ركب حصانه الفارس. و هي مجموعة من الكلمات تم لها " البناء" و لم يتناولها "الترتيب" و لو بقيت على هذه الصورة من صور التوالي ما اعتد بها في قبيل الجملة ويلزمها لتتحول إلى جملة أن يصيها الترتيب لتصحيح " ركب الفارس على حصانه" لأن رتبة الفعل قبل رتبة الفاعل ورتبة الحرف قبل مدخوله غير أن مرحلة الترتيب لا تشتمل على التعليق الذي نلاحظ في الجملة المذكورة والذي يتمثل في وجود ضمير يعود على الفارس. فمرحلة الترتيب لا ينظر فيها إلى الروابط. بعد أن يتم بناء الكلمات على حدة دون النظر إلى ترتيبها ثم بعد أن ترتب هذه الكلمات على صورتها التي بنيت عليها دون الربط بينها في نطاق الجملة تأتي مرحلة التعليق. وتتمثل هذه المرحلة في أمور مثل المطابقة وحروف الربط التي تؤدي إلى توثيق الأواصر بين عناصر الجملة على صورة تتحدي الفصل والاعتراض والاستتار والحذف وإلخ مما يجعل المعنى الكلي للكلام واضحاً ولاسيما إذا أعانت القرائن السياقية والخارجية على هذا الوضوح (م.ن: ٣٣٦-٣٣٥). المعنى الثالث للنظم هو «الأسلوب و الطريقة في الكلام. وهذا المعنى ذكره الشيخ في موضع واحد من كتابه وعرف به وهو يتحدث عن الإحتذاء» (الحسيني، ٢٠١٥: ٣٧٨) فقال: «واعلم أن الإحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبهه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال: قد احتذى على مثاله» (جرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق ابوفهر محمود محمد شاكر: ٤٦٨).

٢-٥-٤. النحو ومعاني النحو

لقد بحث الجرجاني العلاقة بين النظم الذي هو ترتيب الكلام على نحو معين- و علم النحو واعتبر هذه العلاقة مدخلاً لفهم دقائق اللغة والنصوص الأدبية فلم يهمل النحو التقعيدي، إلا أنه ثمن دور النحو الإبداعي الذي يدمج التركيب بالدلالة والصور النحوية بالصور البلاغية

بحيث لا يمكن تذوق الصور المجازية بمعزل عن التراكيب النحوية التي تهئ لها حيزا لبروز معانيها (أبو الحسن دفع الله، ٢٠١٤: ٢٠٥).

نظرية النظم عند الجرجاني تعتمد على تعمق للعلاقات النحوية في التعبير. فهو في نظريته يحاول أن يوظف هذا النوع من الدرس اللغوي الخاص بالأعراب والنحو والصلات بين عناصره كما يحاول أن يوضح أساليب الكلام وأنماط المعاني، وصور البلاغة المتعددة وعبدالقاهر يفتتح دلائل الاعجاز بقوله: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها... فليست بواجبٍ شيئاً يرجع صوابه - إن كان صواباً وخطؤه - إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضعه في حقه، أو غُومل بخلاف هذه المعاملة. فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وُصف بصحة نظم أو فساده أو وُصف بمزية وفضلٍ فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه. ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه» (جرجاني، دلائل الاعجاز، تعليق ابوفهر محمود محمد شاکر: ٨١-٨٢) «فيمثل علم "النحو" القواعد اللغوية للتعبير الصحيح، ولكن التعبير النحوي الصحيح لا يكفي لأن يكون التعبير صحيحاً أو جيداً. فالنحو ليس إلا شرطاً للتعبير الجيد أو التعبير الصحيح عن غرض المتكلم. وهذا الأخير، أي التعبير الجيد، لا يتأتى إلا من خلال إجادة ترتيب أو "نظم" الألفاظ. فالاستخدام الصحيح للغة هو استخدام الألفاظ بحسب معانيها التي تعارف عليها واضع اللغة، وبحسب قواعد النحو الخاصة باللغة، أما التعبير الصحيح فينتج من أسلوب "نظم" الألفاظ. هذا هو المفهوم الأساسي للشيخ عبد القاهر "النظم"» (أبو زيد، ٢٠٠٧: ١٤).

إن عبدالقاهر الجرجاني بنى النظم على معاني النحو وإنه لا يفرق بين معاني النحو والنظم كما فهم من قوله: «أن ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم» (جرجاني، دلائل الاعجاز، تعليق ابوفهر محمود محمد شاکر: ٨٤).

فالنظم في درجة الصحة والفساد أو في درجة المزية والفضل مرجعه النحو وأحكامه والمراد بتوخي معاني النحو عند عبدالقاهر أي الدقة في اختيار البدائل عند تكوين الأسلوب بحيث لا يختار لكل معنى إلا ما يناسبه من اللفظ الدقيق فيه ولا يختار من اللفظ إلا ما يتلائم ويتناسب مع النظم حتى يكون النظم معرضاً جميلاً للمعنى وصورة دقيقة لما في النفس منه (غريب على غلام، عبدالعاطي، البلاغة العربية بين الناقدین الخالدين، عبدالقاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي: ٩٨). «فالتفاعل بين الكلمات و وظائفها النحوية في الجملة تفاعل دلالي نحوي معاً فبين الجانبين تعاون مشترك وتبادل تأثيري» (حماسة، ٢٠٠٠: ٨٥).

يرى عبدالقاهر أن إختلاف العلاقات النحوية يؤدي إلى تغيير المعنى رغم إتفاق العلامات المستخدمة في سياقين وإن إختلاف النظم يؤدي إلى تغاير في المعنى ولذلك يفرق عبدالقاهر بين الغرض والمعنى ويعتبر أن المعنى هو حاصل تفاعل علاقات السياق والفارق مثلاً بين قولنا "زيد كالأسد" وقولنا "كأن زيد الأسد" هو فارق في المعنى وإن

كان الغرض واحداً وهو تشبيه زيد بالاسد والفارق في المعنى هو الذي يفصل عند عبدالقاهر بين عبارة وعبارة فإن لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبيتها... (حامد أبو زيد، ٢٠٠٨: ٩١ و كذلك أنظر: جرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق ابوفهر محمود محمد شاكر: ٢٥٨).

إذن نظرية النظم عند عبد القاهر ترتبط بالنحو إرتباطاً وثيقاً حيث يرى عبدالقاهر أن النظم إنما هو الأخذ بالأحكام النحوية في الكلام فمن الواضح تماماً أن المعنى لا يستقيم إلا إذا استقام الأعراب وتختلف الصفات الإعرابية باختلاف المعنى .

وفي ذلك يقول «إن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنها معدنه وموضعه ومكانه وأنه لا مستنبط له سواها، وألا وجه لطلبه فيما عداها غارٌ نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها من الخدع» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٥٢٦).

من ناحية أخرى عبدالقاهر لا يقصر فساد النظم على عدم الترتيب والتأليف أو عدم التوحي لمعاني النحو، بل إن النظم يطرأ عليه الفساد إذا أخطأنا التقدير في المعنى، وإن بقيت الألفاظ في مواضعها ولم تتغير عن أماكنها، ودليل ذلك قوله: «هنا استدلال لطيف تكثر بسببه الفائدة وهو أنه يتصور أن يعمد عامد إلى نظم كلام بعينه فيزيله عن الصورة التي أَرادها الناظم له ويفسدها عليه من غير أن يحول منه لفظاً عن موضعه أو يبدله بغيره أو يغير شيئاً من ظاهر أمره على حال مثال ذلك أنك إن قدرت في بيت أبي تمام:

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأري الجني اشتارته أيد عواسل

أن لعاب الأفاعي مبتدأ ولعابه خبر كما يوهمه الظاهر أفسدت عليه كلامه وأبطلت الصورة التي أَرادها فيه وذلك أن الغرض أن يشبه مدار قلمه بلعاب الأفاعي على معنى أنه إذا كتب في إقامة السياسات وكذلك الغرض أن يشبه مداده بأري الجني على معنى أنه إذا كتب في العطايا والصلوات أوصل به إلى النفوس ما تحلو مذاقته عندها وأدخل السرور واللذة عليها وهذا المعنى إنما يكون إذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الأفاعي خبراً فأما تقديرك أن يكون لعاب الأفاعي مبتدأ ولعابه خبراً فيبطل ذلك ويمنع منه البتة ويخرج بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مراداً في مثل غرض أبي تمام وهو أن يكون أراد أن يشبه لعاب الأفاعي بالمداد ويشبه كذلك الأري به فلو كان حال الكلم في ضم بعضها إلى بعض كحال غزل الإبريسم لكان ينبغي أن لا تتغير الصورة الحاصلة من نظم كلم حتى تزال عن مواضعها كما لا تتغير الصورة الحادثة عن ضم غزل الإبريسم بعضه إلى بعض حتى تزال الخيوط عن مواضعها واعلم أنه لا يجوز أن يكون سبيل قوله لعاب الأفاعي القاتلات لعابه سبيل قولهم عتابك السيف وذلك أن المعنى في بيت أبي تمام على أنك تشبه شيئاً بشيء لجامع بينهما في وصف وليس المعنى في عتابك السيف على أنك تشبه عتابه بالسيف ولكن على أن تزعم أنه يجعل السيف بدلاً من العتاب أفلا ترى أنه يصح أن تقول مداد قلمه قاتل كسم الأفاعي ولا يصح أن تقول عتابك كالسيف اللهم إلا أن تخرج إلى باب آخر وشيء ليس هو غرضهم بهذا الكلام فتريد أنه قد عاتب عتاباً خشناً مظلماً ثم إنك إن قلت السيف عتابك خرجت به إلى معنى ثالث وهو أن تزعم أن عتابه قد بلغ في إيلامه وشدة تأثيره مبلغاً صار له السيف كأنه ليس بسيف واعلم أنه إن نظر ناظر في شأن المعاني والألفاظ إلى حال السامع

فاذا رأى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الألفاظ في سمعه ظن لذلك أن المعاني تتبع للألفاظ في ترتيبها فإن هذا الذي بيناه يريه فساد هذا الظن وذلك أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها لكان محالاً أن تتغير المعاني والألفاظ بحالها لم تنزل عن ترتيبها فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة واعلم أنه ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ وخبراً ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فيه فلم تعلم أن المقدم خبر حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبير» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٣٧٠).

فالمعنى فاسد على التأويل الثاني رغم أن الألفاظ لم تنتقل من مواضعها ولم تتحول عن أماكنها ولكن الفساد نشأ عن الخطأ في تقدير المعنى الذي نتج عن تغيير إعراب الكلمات وإعتبار المبتدأ خبراً والخبر مبتدأ (ماجد بن محمد الماجد، ١٤٢٥ : ١١٩ - ١٢٠). فمن الواجب - إذن- مراعاة أحكام النحو ومعانيه ولذلك كان من أعجب العجب عند عبدالقاهر «ان يزعم زاعم انه يطلب المزية من النظم ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلمات.» ويشرح لنا عبدالقاهر المراد بمعاني النحو ويستبعد أن تكون معاني النحو هي الاعراب إذ إن الاعراب لا دخل له في الفضل والمزية وليس هو سبب الفصاحة والبلاغة يقرر «أن الاعراب ليس من الفصاحة التي يعيننا أمرها في شيء وإن كلامنا في فصاحة تجب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النطق ولكن من أجل لطائف تدرك بالفهم وإنما نعتبر في شأننا هذا فضيلة تجب لأحد الكلامين على الآخر من بعد أن يكونا قد برنا من اللحن وسلما في ألفاظهما من الخطأ ومن العجب أننا إذا نظرنا في الإعراب وجدنا التفاضل فيه محالاً لأنه لا يتصور أن يكون للرفع والنصب في كلام مزية عليهما في كلام آخر وإنما الذي يتصور أن يكون هاهنا كلامان قد وقع في إعرابهما خلل ثم كان أحدهما أكثر صواباً من الآخر وكلامان قد استمر أحدهما على الصواب ولم يستمر الآخر ولا يكون هذا تقاضلاً في الإعراب ولكن تركا له في شيء واستعمالاً له في آخر فاعرف ذلك» (الجرجاني، ١٣٧٥: ٣٩٦). فالإعراب ليس من جملة المزاي وإنما يتعلق بالكلام من حيث الصحة والفساد والاستعمال والقول ولا يدخل في سلك الفصاحة والفضيلة. ونرى عبدالقاهر في موضع آخر يوضح معاني النحو «بأنها ليست في الاعراب ولا في معرفة القواعد النحوية وإنما في معرفة مدلول العبارات ولذلك فإن البدوي الذي لم يسمع بالنحو قط ولم يعرف المبتدأ والخبر يحسن النظم كما لم يحسنه المتقدم في علم النحو لأنه يعرف القول بين أن يقول: "جاءني زيد راكباً" وبين قوله: "جاءني زيد الراكب" لم يضره أن لا يعرف أنه إذا قال راكباً كانت عبارة النحويين فيه أن يقولوا في راكب إنه حال وإذا قال الراكب إنه صفة جارية على زيد وهكذا» (م.ن: ٤١٨) ومن ثم فإن عبدالقاهر لا يفسر معاني النحو بأنها اعراب الكلمات أو حركات الاعراب وإنما المراد به المعنى الذي يفهم من الكلمات فيحتم هذا الفهم أن يكون هذا مبتدأ وهذا خبر أو هذه حالا وتلك صفة.

نتائج البحث

-إنّ النظم عند الجرجاني هو تعليق الكلم بعضها ببعض والبلاغة لا ترجع إلى فصاحة وبلاغة اللفظ وإنما إلى النظم ومنهج الصياغة ومعنى ذلك هو أن الكلمة لا قيمة لها في ذاتها بل في علاقتها في تركيب لغوى ما ، وهوبذلك لا يحكم على اللفظة مستقلة بل ينتظرها لحين الدخول في سياق لغوى ما ، وهذا السياق هو الذى يحدث تناسق الدلالة ويبرز فيه المعنى على وجه يتقبله العقل ويرتضى أن الألفاظ لا يمكن أن تتفاضل فيما بينها قبل أن توضع في تشكيل لغوي، كما يستحيل وجود تفاضل بين اللفظين في الدلالة، قبل دخولهما في النظم والتأليف.

-إن عبدالقاهر يرى القيمة الجمالية للألفاظ المفردة تظهر في الصياغة و التشكيل الفني للمعنى و من ثم فلا قيمة للألفاظ المفردة خارج السياق اللغوي.

-نظرية النظم عند عبدالقاهر يتركز على الأركان الأربعة، هي: الفصاحة و البلاغة، اللفظ والمعنى، النظم، النحو ومعاني النحو.

-يؤكد الجرجاني أن الفصاحة ليس في معانى الكلمة المفردة فحسب بل يجب أن نبحت عن الفصاحة في التأليف والتركيب والصياغة. إذن البلاغة لا ترجع إلى فصاحة وبلاغة اللفظ وإنما إلى النظم ومنهج الصياغة ومعنى ذلك هو أن الكلمة لا قيمة لها في ذاتها بل في علاقتها في تركيب لغوى ما.

-أنهى عبدالقاهر مناقشته لمقولة اللفظ والمعنى برفضهما معا، وخلص إلى أن القيمة الفنية للنص الأدبي إنما تكمن في صياغته ونظمه، وأن النظم هو مناط إبداع الأديب ومظهر عبقريته، فهو يرى أن الألفاظ لا يمكن أن تتفاضل فيما بينها قبل أن توضع في تشكيل لغوي، كما يستحيل وجود تفاضل بين اللفظين في الدلالة، قبل دخولهما في النظم والتأليف.

-يرى عبدالقاهر أن المقصود بالنظم إنما هو نظم المعاني النحوية في النفس. فما من هذه المعاني النحوية و معنى النظم أن يعمد المتكلم إلى اختيار ما يناسب غرضه من هذه المعاني إذ يوردها على خاطره قبل أن يبني لها الكلمات (فكرة البناء) أو يرتب هذه الكلمات (فكرة الترتيب) أو ينشئ بينها العلاقات بواسطة الربط و المطابقة إلخ (فكرة التعليق). فالنظم إذا هو إيراد المعاني المتعلقة بغرض المتكلم على خاطره استعداد للدخول فيما يتلو ذلك من المراحل.

-الجرجاني قد أعطى للنحو قيمته في اللغة، فهو ليس جملة من القواعد الجافة التي تعنتي بضبط أواخر الكلمات وتعيين المبني منها والمعرب، إنّما النحو هو النظم الذي يكشف عن المعاني ويعطي للألفاظ البعد المطلوب من أجل الإفصاح عن الدلالة.

-يرى عبدالقاهر أن إختلاف العلاقات النحوية يؤدي إلى تغيير المعنى وإن إختلاف النظم يؤدي إلى تغاير في المعنى. أن اللفظ المفرد لا يكتسب معنى محددًا ولا يفيد فائدة خاصة إلا إذا أدى وظيفة في سياق ما فالألفاظ تستمد دلالاتها من علاقاتها بالكلمات السابقة لها أو اللاحقة بها.

-كل تغيير على البنية السطحية يقترن بتغييرات دلالية. يرى عبدالقاهر أن إختلاف العلاقات النحوية يؤدي إلى تغيير المعنى رغم إتفاق العلامات المستخدمة في سياقين وإن إختلاف

النظم يۇدى الى تغاير فى المعنى ولذلك يفرق عبدالقاهر بين الغرض والمعنى ويعتبر أن المعنى هو حاصل تفاعل علاقات السياق والفارق مثلاً بين قولنا زيد كالاسد وقولنا «كأنَّ زيد الاسد» هو فارق فى المعنى وإن كان الغرض واحداً وهو تشبيه زيد بالاسد والفارق فى المعنى هو الذى يفصل عند عبدالقاهر بين عبارة وعبارة فإن لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها فى المعنى تأثير لا يكون لصاحبتهما.

المصادر**الكتب**

ابن دريد، محمد بن حسن، جمهرة اللغة، ج ٢، المكتبة مدرسة الفقاهة.
ابن منظور، جمال الدين (٢٠٠٤)، لسان العرب، ج ١٢، بيروت دار صادر، ط ٢.
ابن منظور، جمال الدين (لا تا)، لسان العرب، المكتبة مدرسة الفقاهة، لا مك.
أبو زيد، سمير (٢٠٠٧)، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، أول محاولة في العلوم الإنسانية؟، مجلة المواقف، قسم العلوم الإنسانية، المركز الجامعي- معسكر، الجزائر، ديسمبر: ٢٨٥-٢٩٧.

أبو زيد، نصر حامد (٢٠٠٨)، اشكاليات القراءة و آليات التأويل، الطبعة الثامنة، المغرب، المركز الثقافي العربي دار البيضاء.
ابوالعلاء، عادل بن محمد (١٤٢٥)، مصابيح الدرر في تناسب الآيات القرآن الكريم والسور، المدينة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(ب) المقالات

الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، ج ١، المكتبة مدرسة الفقاهة.
الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، ج ٣، المكتبة مدرسة الفقاهة.
الجاحظ، أبو عثمان، الحيوان: ج ٣، المكتبة مدرسة الفقاهة.
الجرجاني، عبدالقاهر (١٣٧٥هـ.ق)، دلائل الاعجاز، تعليق ابوفهر محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي.

حسان، تمام (٢٠٠٦)، مقالات في اللغة و الادب، الجزء الثاني، القاهرة: عالم الكتب.
الحسيني، أبو نور ضياء الدين (٢٠١٥)، عروض نظرية النظم عند الإمام عبدالقاهر الجرجاني ومباحثها، عمان، أروقة للدراسات والنشر، ط ١.
حميلي، فاتح (٢٠١٤)، ملامح التجديد في منهج البحث البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي الجزائر، مجلة الاثر العدد ١٩.
حموده، عبدالعزيز (٢٠٠١)، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الوطن.
الخليل بن أحمد الفراهيدي (لا تا)، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ج ٨، دار ومكتبة الهلال، دون طبع.
دفع الله، وفاء ابوالحسن و محمد داود، محمد (٢٠١٤)، الانزياح الدلالي: دراسة تطبيقية من خلال نظرية النظم، مجلة العلوم الإنسانية، ٠٢، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- كلية اللغات.

الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، المجلد ٢، المكتبة مدرسة الفقاهة.
الرازي، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (١٩٧٩)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
شيخ امين، بكري (١٩٩٤)، التعبير الفني في القرآن، بيروت: دار العلم للملايين.
ضيف، شوقي، البلاغة تطور و تاريخ، الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف.

- طبانہ، بدوى (١٩٨٨)، البيان العربى، ط٧، الرياض- جدة: دار الرفاعي- دار المنارة.
 عبداللطيف، محمد حماسه (٢٠٠٠)، النحو والدلالة، القاهرة، دار الشروق.
 العشماوى، محمد زكى (١٩٨٤)، قضايا النقد الأدبى بين القديم والحديث، بيروت:
 دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
 على غلام، عبدالعاطي غريب (١٩٩٣)، البلاغة العربية بين الناقدین الخالدين، عبدالقاهر
 الجرجاني وابن سنان الخفاجي، الطبعة الاولى، بيروت، دار الجيل.
 غنيمي هلال، محمد (١٩٨٧)، النقد الأدبى الحديث، بيروت: دار العودة.
 الفيومي المقرئ، أحمد بن محمد بن علي (١٤١٨)، المصباح المنير في غريب الشرح
 الكبير، تحقيق يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية.
 كلاب، أحمد عاطف محمد، منهج الإمام عبدالقاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية،
 دراسة تحليلية، رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، غزة، ٢٠١٣.
 ماجد بن محمد الماجد (١٤٢٥)، المتلقي عند عبدالقاهر الجرجاني، اللغة العربية الأردني،
 العدد ٦٨: ١٠٧-١٣٤.
 مرادي، محمد هادي، كاظمي، فاطمه (١٤٣٧)، دراسة آراء عبدالقاهر الجرجاني مقارنة
 مع بعض اللسانيين المحدثين. مجلة بحوث في اللغة العربية، العدد ١٤: ٥٩-٧٤.
 مطلوب، أحمد (١٣٩٣هـ)، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، دار العلم لملايين الطبعة
 الأولى.
 مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج ١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون،
 ط ١.
 وشنان، حكيمه (٢٠١٧)، النظرية العلمية وعلاقتها بالبحث العلمي البحث الاجتماعي
 نموذجاً، مجلة آفاق للعلوم، العدد السابع: ٢٦٦-٢٧٤.
 المواقع الإلكترونية
 نظرية النظم و علاقتها باللفظ والمعنى عند الجرجاني، موقع مدونة بلال الغريب
 . http://elghrib.blogspot.co.uk/p/blog-page_7479.html

